الأيديولوجي المنتصر والعم سام

بقلم: د.مصطفى حسين بطيخة

تم نشر هذا المقال على موقع جريدة (زمان الوصل) بتاريخ 2 أيار العام 2026:
https://www.facebook.com/share/p/18NigAXkkj/

في مقال سابق على موقع عنب بلدي بعنوان (الأيديولوجي الأممي واليوم الأخير)، تحدثت عن الفرق بين الأيديولوجي والوطني، فالأيديولوجيون الذين يؤمنون بمفهوم الأمة النافية للحدود الوطنية، والمنتمون لسلط وعصبيات تاريخية قبل مفهوم الدولة والوطن (راجع مقالي على زمان الوصل بعنوان: الأيديولوجيات الأممية وقتل الوطنية) يشتركون جميعاً بأنهم يأتون نتيجة قبول مجتمعي، ويستفيدون من لحظات ومطالب شعبية محقة معتمدين على أوجاع المجتمع، فما يلبثوا إلا أن يستبدوا به، معلنين حكم العصبية الواحدة التي ينتمون إليها بأفكارها الأيديولوجية القومية أو الدينية أو الطبقية الاجتماعية كالشيوعية أو المناطقية أو العرقية (راجع مقالي على زمان الوصل:الاستبداد والعصبيات– قصة سورية)، ويعملون على إلزام مجتمعهم و باستخدام الوسائل السلطوية والعنفية على اتباع أفكارهم، ويرفضون التشاركية مع مكونات الوطن، وجميعهم يشكلون تنظيمات ميلشيوية لهم ومستقلة عن الدولة، تهدف لمراقبة الجماهير، و القتل الجماعي والاغتيالات لمن يعارض أيديولوجيتهم، وجميعهم يصنعون آلتهم الإعلامية، التي تمجد بالانتصارات الوهمية لهم، وقد أوردت في نفس المقال (الأيديولوجي الأممي واليوم الأخير) نماذج عن هؤلاء الأيديولوجيين الأممين، وكيف أنهم يفسدون المجتمع، وأن يومهم الأخير هو يوم دمارللوطن الذي ينتمون إليه، وبهذا اليوم يبتزون المجتمع من أن رحيلهم سيكون كارثة، وبهذه الدعاية يشجعون المجتمع على عدم التفكير في تغييرهم من مبدأ (الأسد أو نحرق البلد)، ويمكن إعادة التعميم بالقول (الأيديولوجي أو تحترق البلد)، وهم على النقيض تماماً من الوطني الذي يؤمن بالتشاركية المجتمعية ضمن آليات

مكتبة حسين بطيخة الالكترونية

ديمقراطية حقيقية، ويؤمن بالمساواة تحت سقف القانون لجميع من ضمته حدود الوطن من إيمانه بالاختلاف، وهو يؤمن بديناميكية الحياة وتطورها بعيداً عن أيديولوجية العصبيات التاريخية. ولكنني نسيت أن أذكر في مقالي السابق أن الأيديولوجي يعلن أنه (منتصر دائماً)، رغم هزائمه التي يشهد عليها دمار مجتمعه الأخلاقي والمادي، بينما يميل الوطني للاعتذار عما فعل، والاستقالة من مسؤولياته التي أدت للخطأ، واستعداده لنقل هذه المسؤوليات والمحاسبة عما بدر منه. لقد انتحر (هتلر) دون أن يعتذر بعد تسببه بمقتل حوالي 8 ملايين ألماني واغتصاب مليوني ألمانية خلال 6 سنوات من إعلانه حرب أيديولوجيته النازية، ومات (ماوتسي تونغ) دون أن يعتذر بعد موت حوالي 50 مليون صيني من ضحايا عهده بتجاربه الفاشلة، ومات الخميني بعد حوالي 500 ألف قتيل ايراني في الحرب العراقية الإيرانية، وبعد أن انخفض دخل الفرد الإيراني إلى 350 دولار شهرياً في بلد تعوم على النفط، ولم يعتذر بل أوكل المهمة لأبنائه من أمثال الخامنئي وسليماني وحسن نصر الله ليكملوا الدمار الأيديولوجي الذي تمثل بدمار أربع دول (العراق وسوريا ولبنان واليمن) وتهجير أهلها، ومساعدة إسرائيل في تصفية القضية الفلسطينية وآخرها الإعلانات الأممية أن غزة أصبحت غير صالحة للحياة، واليوم إيران المدنية يتم تدميرها، ومات (ابن لادن) ولم يعتذر بعد أن جعل العالم الإسلامي متهماً برمته، وبعد أن اطمأن أن أبناءه الجهاديين الأيديولوجيين يجوبون العالم .

عندما جاء الأيديولوجي القومي (عبد الناصر) شَجَّع عسكريي سوريا على إسقاط ديمقراطيتهم والوحدة مع استبداده الأيديولوجي، واشترط حل جميع الأحزاب السورية (راجع مقالي: الأيديولوجيات الأممية وقتل الوطنية، الاستبداد والعصبيات: قصة سورية)، وأرسل الجيش المصري إلى خارج حدوده لليمن لنصرة أيديولوجييه القوميين هناك، وقامت إذاعته (صوت العرب) بنشر أخبار انتصاراته في جميع أنحاء العالم العربي، إلى أن حلت هزيمة 1967 خلال ستة أيام فقط، لتنتهي بضم اسرائيل للجولان والضفة الغربية وغزة وسيناء معاً، وأكثر من 10000 قتيل من الجنود المصريين و2000 من

السوريين وآلاف الجرحى، مع دمار في العتاد العسكري ولاسيما 80٪ من سلاح الطيران المصري. بعد هذه الهزيمة، استيقظ في عبد الناصر (الوطني) المعتذر ومات (الأيديولوجي) المنتصر، فأعلن في خطابه بعد الهزيمة عن تحمله المسؤولية كاملة كما أي وطني، وأعلن قراره بالتنحي عن أي منصب رسمي وسياسي كما أي وطني. بالمقابل كان أيديولوجيو سوريا يعلنون النصر لأن اسرائيل لم تستطع تحقيق هدفها في إسقاط حزب البعث. إن (الوطني) وليس (الأيديولوجي) عبد الناصر هو من سيقود حرب الاستنزاف بعدها والتي تعتبر علامة فارقة في تاريخ المنطقة، وبوفاة هذا المتحول من الأيديولوجي إلى الوطني سيسدل الستار على أيديولوجية الأمة العربية بعد أن استلمتها العسكريتارية الاستبدادية ولكن بلبوس قومي للتجميل فقط. لقد هاجم الشاعر (نزار قباني) في قصيدة (هوامش على دفتر النكسة) عبد الناصر (الأيديولوجي) في قوله: (ياسيدي السلطان/ كلابك المفترسات مزقت ردائي/ ومخبروك دائماً ورائي/ أرغمني جندك أن آكل حذائي/ لقد خسرت الحرب مرتين / لأن نصف شعبنا ليس له لسان/ لأنك انفصلت عن قضية الإنسان)، ليعود ويرثي عبد الناصر (الوطني) في قصيدته (قتلناك ياآخر الأنبياء) .

واليوم وفي الصراع الاقتصادي بين القطب الأمريكي (العم سام) بقيادة (المسيح ترامب) مع (التنين الصيني) (راجع مقالاتي السابقة بهذا الخصوص وآخرها على زمان الوصل بعنوان:إيران- أهورامزدا ضد أهريمن)، فقد قرر (العم سام) واسرائيل التخلص من أيديولوجيي المنطقة لصالح شركاته، وقد كان الأيديولوجي دائماً مايعطيه المبرر، فقد كان (طوفان الأقصى) الذي قامت به الأيديولوجية (الحمساوية) في ظل أكثر الحكومات الإسرائيلية تطرفاً في تاريخها كاف للقيام بذلك، لقد تم وبدفعة واحدة التخلص من (حسن نصر الله) بعد تفجيرات (البيجر) التي أودت بأكثر من 2000 أيديولوجي دفعة واحدة، ناهيك عن القتلى والجرحى بالآلاف من حاضنته الشعبية، وقامت بالتخلص من أيديولوجيي حماس وهم الذين أعلنوا نصرتهم لسوريا الأسد مباشرة وبدون مواربة وزار

وفد (حماس) بشار الأسد العام 2022، ولم يرحلوا إلا بعد دمار شامل في غزة وتقديرات عالمية بمقتل أكثر من 70 ألف غزاوي وإصابة أكثر من 150 ألفاً، وتم بعدها إسقاط الأسد، وهو الواجهة السياسية لإيران في سوريا منذ العام 2005 (راجع مقالي على سيريا نيوز: القطبية الدولية وسوريا الوظيفية)، وتم إحلال الأيديولوجية السنية محله ليخرجوا إيران الشيعية من سوريا، ومن ثم جاء التاجر (المسيح ترامب) ليكمل الحرب ضد أيديولوجيي المنطقة الراقصين فرحاً وهم يعلنون انتصاراتهم في كل مكان بعد هزائمهم .

لقد قامت أمريكا في حربها الحالية بقتل أكثر الأيديولوجيين الإيرانيين تطرفاً (خامنئي ولاريجاني وقادة من الحرس الثوري والاستخبارات والجيش)، بعد أن تسببوا بمقتل أكثر من 5000 إيراني وخسائر تقدر بأكثر من 200 مليار دولار خلال أقل من شهرين، وحصار على شعبهم خانق كما حدث مع العراق بعد العام 1990، ومعاداة للخليج برمته بعد أن صدق حدس الخليج أن الصواريخ الإيرانية كانت مخبأة له، ولكن أهم مافعلوه هو أنهم أعطوا أمريكا ماتريد: مضيق هرمز ونفط إيران، وكذلك أعطوا اسرائيل ماتريد، فناهيك عن القضاء على أيديولوجيي إيران والنووي والقدرات العسكرية الصاروخية، كان إعلان (حزب الله) الأيديولوجي الشيعي الإيراني (المنتصر دائماً) دخول الحرب إلى جانب إيران، وبشكل خارج عن القرار الوطني اللبناني، قد جعل لبنان يخسر في يوم واحد 1500 قتيل في غارة اسرائيلية واحدة، ودخول اسرائيل للجنوب اللبناني تنفيذاً للقرار 1701 في العام 2006 بالقوة.

لقد سيطر التاجر (المسيح ترامب) على مضيق هرمز وهو اليوم من يحاصره بسفنه وغواصاته بحجة حصار إيران، ويتحكم بخروج السفن منه، لابتزاز جميع خصومه وأولهم الصين، ولن ينسى أن يلتفت إلى أوروبا التي لم تقف معه في حربه الآن، كما فعلت بالوقوف مع غيره من رؤساء (العم سام) في حروب العراق العامين 1990 و 2003. لقد خاطب (المسيح ترامب) حواريه السابقين (الأوروبيين) بلغة التجارة أثناء الحرب حين قال: (من أراد نفطه فليأتي ليأخذه بنفسه)، وإن تخلفهم عن نصرته إعلان أنهم لايملكون

الحق بهذا النفط بعد اليوم. إن أوروبا كانت تعتمد على روسيا بشكل كبير في طاقتها، ولكن الشرخ الذي حدث بينهما نتيجة الحرب الأوكرانية، جعل أوروبا تزيد من اعتمادها على الخليج وأمريكا. لقد فهم (التاجر ترامب) ذلك، فتقرب من روسيا لإبعادها وطاقتها أكثر عن أوروبا، واليوم في جعل (هرمز) أمريكياً، وكل مايدخل أو يخرج منه. لاننسى أن النفط الأمريكي ارتفع سعره نتيجة حصار (هرمز) وزيادة الطلب عليه عالمياً، وبالتالي زادت أرباح شركات النفط الأمريكية. يريد (ترامب) أن يقول للعالم أن طاقتكم تمر من خلالي، فتعالوا للتفاوض معي.

على الرغم من أن تدمير النووي والقدرات العسكرية الإيرانية هي رغبة إسرائيلية، إلا أن (هرمز) هو رغبة أمريكية (ترامبية)، وهو هدف الحرب الذي قدمه له الأيديولوجي الإيراني على طبق من فضة (لمزيد عن سياسات ترامب يمكن العودة لمقالي على زمان الوصل:سوريا الوظيفية والحدث المادوري). سيستولي ترامب على النفط الفنزويلي بعدما خطف مادورو بلباس نومه، واليوم سيفاوض إيران على نفطها من حصاره لها، وبصفقة ناجحة بدون اللجوء إلى الحرب ثانية. قد يستطيع اليوم ترامب أخذ (غرينلاند) بعد ابتزاز أوروبا بالنفط والغاز الأمريكي بعد توسيعه للشرخ بينها وبين روسيا، وترك الناتو غير المفيد بعد ذهاب أمريكا وحيدة للحرب وانتصارها دون دعم الناتو، أما الصين فقد تتحول من (تنين صيني) إلى (باندا صيني) لطيف ودبلوماسي من أجل مصادر الطاقة التي ستصبح أمريكية. إن من الوهم الاعتقاد أن الصين قد تدق طبول الحرب خارج سورها العظيم، فأهل الحرب الخارجية منذ الحرب العالمية الثانية كانوا أمريكا وروسيا، واليوم فإن القطب الأمريكي متفرد عسكرياً. بعد ذلك ستنتشر الشركات الأمريكية في الشرق الأوسط شرط إكمال التخلص من أيديولوجييه الخطرين على هذه الشركات، هؤلاء الأيديولوجيون الوظيفيون والمفيدون إلى حين.

لقد تحدثت في مقالي (سوريا الوظيفية والحدث المادوري) عن أطماع الشركات الأمريكية في سوريا، وليس غريباً أن توقع شركات أمريكية مثل (شيفرون) و

(كونوكوفيليبس) عقوداً ومذكرات تفاهم للتنقيب عن الغاز والنفط في سوريا، بعد أن كان الحضور للشركات الروسية والصينية.

إن (الأيديولوجي) الذي لايهزم والمنتصر دائماً على حساب مآسي شعوبه، الأيديولوجي بجميع أشكاله (تعرف على أنواعه في مقالي:الأيديولوجيات الأممية وقتل الوطنية)، هو وباء الشعوب ومنطقتنا، وهو من يسبب الفساد الأخلاقي والدمار المادي المترافق مع الابتعاد عن التنمية نتيجة سياساته، وعلاج هذا الوباء هو إحلال (الوطني) المعترف بالهزيمة والخطأ، والمعتذر والمستعد لتحمل المسؤولية، الوطني اللاسلطوي والمؤمن بالدولة وتشاركيتها وآلياتها الديمقراطية للتغيير وسيادة القانون.

مكتبة حسين بطيخة الالكترونية